الأسس الأكاديمية للدراسات في الترجمة الفورية: مدخل إلى النظريات

غريس أبو خالد
جامعة القديس يوسف في بيروت

Roy, C.B., Brunson, J.L., & Stone, C.A. (2019). *The Academic Foundations of Interpreting Studies: An Introduction to Its Theories.* Washington, DC: Gallaudet University Press, 244 p.

لا يخفى على أحد أنّ الترجمة الفوريّة حقلٌ تكتنفه الكثير من الصعوبات على المستوى العملي. أما تعليم الترجمة الفوريّة فليس أقلّ صعوبة. وإذا كان هذا الميدان أصبح تخصصًا مستقلًا منذ عقود، فإنّه لا يزال يفتقر إلى الموازنة بين الجانب النظري والجانب العملي في التعليم.

في الواقع، غالبًا ما تركز مناهج تعليم الترجمة الفوريّة على الجانب العملي ولا تولي اهتمامًا كبيرًا للشق النظري الذي لا بدّ من أن يشكل جزءًا لا يتجزّأ من محتوى التعليم. فمن المفترض بنظريات الترجمة أن تساهم في تزويد الطالب بالمعرفة حول طبيعة عمله، ما قد يدعم الأداء العملي. فضلًا عن ذلك، فإنّ هذا الأمر يهيّئ المترجم الفوري للانخراط في الأبحاث المتعلّقة بالترجمة الفورية. وهو مجال واسع وضروري على المستوى الأكاديمي والعلمي.

في هذا السياق، يُعَدّ كتاب "الأُسس الأكاديمية للدراسات في الترجمة الفوريّة"[1]: مدخل إلى النظريات، من الكتب الدراسية الأكاديمية المخصّصة للطلاب. وهو ينظر في الأُسس النظريّة المُستخدمة في دراسات الترجمة الفوريّة بشكل عام وترجمة لغة الإشارة بشكل خاص. ويقوم مؤلفو الكتاب سينثيا روي وجيريمي برونسون وكريستوفر ستون باستعراض التخصّصات التي أثّرت أُطرها النظريّة ومنهجيّاتها في دراسة الترجمة الفوريّة في الأوساط الأكاديميّة. ويسمح هذا الكتاب بتأطير كيفية

[1] سنعتمد في قراءة هذا الكتاب مصطلح "الدراسات في الترجمة الفورية" مقابلًا لـ Interpreting studies مع أن المصطلح المعتمد لـ Translation studies هو الترجمية.

حدوث العملية الترجميّة بالاستناد إلى مجموعة متنوعة من النظريّات والتخصّصات، ما يشكّل أساسًا صلبًا يعبّد الطريق أمام تطوير دراسات الترجمة الفوريّة بحسب المؤلّفين.

يُعدّ هذا الكتاب انتقائيًا إذ تم اختيار النظريّات والمقاربات نظرًا إلى تأثيرها القوي في دراسات الترجمة الفوريّة بحسب تحديد المؤلفين. وقد استعار المؤلفون مفاهيم من مجالات مثل الدراسات المعرفيّةو الدراسات الثقافيّة، والدراسات العرقيّة النقديّة. ويستعرض الكتاب أعمال المنظّرين الذين قدّموا أفكارًا جديدة بارزة، وقاموا بدراسات مفصّلة في مجال ترجمة لغة الإشارة.

ويستعرض الكتاب ستّة تخصّصات رفدت دراسات الترجمة الفورية بالنظريات مع التركيز على لغة الإشارة، ألا وهي التاريخ، والترجمة، واللسانيّات، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس المعرفي. ويتوقّف المؤلفون عند أبرز الباحثين في التخصّصات المذكورة، عارضين أفكارهم الرئيسيّة التي ساهمت في تطوّر دراسات الترجمة الفورية.

يتضمّن كلّ فصل من فصول الكتاب الثمانية اقتباسات افتتاحيّة وأهداف تعليميّة واضحة وتعريفات وأسئلة مناقشة وصوراً ورسوماً للمساعدة في الفهم فضلًا عن مراجع لقراءات أخرى في نهاية كل فصل.

ويهدف المؤلفون إلى إضفاء الطابع العابر للتخصّصات على دراسات الترجمة الفوريّة، مع إيلاء النصيب الأوفر لترجمة لغة الإشارة.

بعد مقدّمة تحدّد الخطوط العريضة لمسار الكتاب، يبدأ الفصل الأول الذي يحمل عنوان "اختصاص دراسات الترجمة الفورية" بتعريف الترجمة الفوريّة كتخصّص أكاديمي، ويعطي لمحةً عن تطوّر دراسات الترجمة الفوريّة على مر السنين.

وقد استوحى المؤلفون فكرة هذا الكتاب من كتاب فرانز بوشهاكر الذي يحمل عنوان "مدخل إلى دراسات الترجمة الفورية" (Introducing Interpreting Studies) والصادر في العام ٢٠٠٤ بنسخته الأولى. ويعرض بوشهاكر في كتابه المفاهيم والتطورات والمقاربات والنماذج ذات الصلة بالترجمة الفوريّة، مستعرضًا الدراسات البحثية الخاصة بالترجمة الفوريّة في تخصّصات متنوعة، ودارسًا أبرز التوجّهات والمنظورات المستقبليّة المرتبطة بأبحاث الترجمة الفوريّة.

ويعرّج الفصل الأول على المنهجيّة المتّبعة في الدراسات البحثيّة الرامية إلى اختبار نقاط القوة أو نقاط الضعف في نظريّة معيّنة من خلال طُرق علميّة كميّة ونوعيّة تشتمل على جمع البيانات المحدّدة التي تسمح باختبار فرضيّة ما أو النظر في الفئات والمواضيع الناشئة، أو وصف الظواهر المحدّدة المرتبطة بتخصّص معيّن.

ويذكر المؤلفون استعانة دراسات الترجمة الفوريّة، باعتبارها تخصّصًا جديدًا، بالممارسات المنهجيّة المعتمدة في تخصّصات أخرى للنظر في فعل الترجمة الفوريّة، مع التشديد على أنّ الترجمة الفوريّة ليست ممارسةً وحسب بل أيضًا تخصّصًا علميًا يُدرَس في الجامعات.

أمّا الفصل الثاني، الذي يحمل عنوان "من منظور التاريخ"، فيرمي إلى وضع ما يحصل حاليًا في سياقه الصحيح عبر تحديد ما هو جديد، وما هو عبارة عن إعادة تأطير لمسألة تمّت مناقشتها أو النظر فيها سابقًا.

يتطرّق المؤلفون في هذا الفصل إلى الترجمة الفوريّة المحكيّة أو ترجمة لغة الإشارة التي تُعدّ ممارسةً موجودةً عبر التاريخ البشري، مستعرضين بداية أعمال الترجمة الفوريّة مع الوسطاء اللغويّين الذين يجيدون لغتيْن أو أكثر والذين لم يحظوا بأي تدريب متخصّص، وقد انخرطوا في أعمال الترجمة الفوريّة كجزء من مسؤولياتهم المهنية أو خدمةً للعائلة أو الأصدقاء لاسيّما في السياقات الدينية والقضائية.

ويشدّد المؤلفون على اختلاف سياقات الترجمة الفوريّة وخصائصها بحسب الحقبات والمناطق الجغرافيّة، مع التشديد على ضرورة إلمام المترجم الفوريّ باللغة وبالمعايير الثقافيّة والممارسات المجتمعيّة في بيئة ما.

وفي الفصل الثالث المعنون "من منظور الترجمة"، يبحث المؤلّفون في توسُّع مفاهيم الترجمة الخاصة بلغة الإشارة في القرن الحادي والعشرين، فبدل أن تقتصر على الترجمة من اللغة المكتوبة إلى لغة الإشارة، توسّعت لتشمل الترجمة من لغة الإشارة إلى اللغة المكتوبة على ضوء التطور التكنولوجي السريع.

ويثير المؤلفون في هذا الفصل مسألة التعادل الذي يحدّد العلاقة بين النص المصدر ونقله باللغة الهدف، مشيرين إلى الترجمة الحرفيّة والترجمة الحرّة التي ينادي بها معظم الباحثين. في هذا السياق، يتناول مؤلفو الكتاب إشكالية ترجمة الكتاب المقدّس التي شكّلت مصدر قلق بارز بالنسبة إلى الكنائس المسيحيّة على مدى ألفيْ

عام، معتبرين إياها عنصرًا محفّزًا للترجميّة بطُرق مختلفة. ويشيرون في هذا السياق إلى ترجمة القديس هيرونيموس لبعض مقاطع الكتاب المقدّس بشكل حرفي وترجمة مقاطع أخرى بأسلوب يسهل على مَن يجيد اللاتينية فهمه، من منطلق رفضه الترجمة الحرفيّة.

كذلك، يستعرض المؤلفون تاريخ الصين والدول الناطقة بالعربية الحافل بالنقاشات الخاصة باستراتيجيات الترجمة الحرفيّة مقابل الترجمة الحرة، ذاكرين قيام المُرسَلين وخاصةً الآباء والرهبان اليسوعيّين بترجمة الكتابات الصينيّة إلى اللغات الأوروبيّة في أواخر القرنيْن السادس عشر والسابع عشر ومعرّجين على نشاط الترجمة في الدول الناطقة بالعربيّة في العصر العباسي حيث ازدهرت الترجمة من وإلى لغات مختلفة.

ويتوقّف المؤلفون أيضًا عند نظريّة سكوبوس Skopos، أو نظرية الهدف في الترجمة لهانز فرمير، مغفلين الإشارة إلى النظرية التفسيرية أو نظرية باريس.

ويلحظ المؤلفون المنعطف الثقافي في الترجميّة، الذي صاغته ماري سنيل هورنبي، ويستعرضون أعمال سوزان بازنت واندريه لوفيفر الداعية إلى التركيز على المسائل الأوسع نطاقًا المرتبطة بالسياق، والتاريخ، والاصطلاح، والتي مهّدت لفكرة اللجوء إلى تخصّصات أخرى مثل التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي للنظر في عمليّة الترجمة. كما يتوقف المؤلفون عند هولمز الذي يعود الفضل إليه في حثّ الباحثين على إقامة تخصّص منفصل، هو "دراسات الترجمة" أي ما نتعارف عليه اليوم بتسمية الترجميّة.

أمّا في الفصل الرابع المعنون "من منظور اللسانيّات" فيعتبر المؤلفون أنّ الفضل في تطوّر النظريات التي تتناول الترجمة الفوريّة باعتبارها حقلًا عابرًا للتخصصات يعود إلى اللسانيّات الدائمة الوجود في دراسات الترجمة، وتحليل الخطاب، والترجمة الفوريّة.

ويخصّص المؤلّفون الفصل الخامس، الذي يحمل عنوان "من منظور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا"، للمجاليْن اللذين لم يحظيا، في دراسات الترجمة الفوريّة، بقدر كبير من الاهتمام، حتى فترة ليست ببعيدة، وهُما علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

ويتناول المؤلفون في الفصل نفسه الدراسات النسويّة، والدراسات الثقافيّة، ودراسات الصمَ التي ترسم ملامح العدالة الاجتماعيّة التي بدأت تطبع عمل الترجمة الفوريّة، بحيث أنها تحثّ المجتمع على أن يكون شموليًا.

علاوةً على ذلك، يشير المؤلفون إلى أمر حظي باهتمام عالمي واعتُبر إنجازًا مهمًا، ألا وهو السماح، لأول مرّة في التاريخ، للصمّ بتقرير مصيرهم من خلال تعيين أول رئيس أصمّ لجامعة جالوديت التي ينتمي إليها المؤلفون.

أما الفصل السادس المعنون "من منظار علم النفس الاجتماعي"، فهو يتطرق إلى علم النفس الاجتماعي الذي يشكّل جزءًا من الإطار النظري المستخدمَ لفهم الترجمة الفوريّة.

ويلحظ مؤلفو الكتاب وجود رابط بين الهوية والثقافة، ذلك أنّ المترجمين الفوريّين يتقاسمون هويّةً خاصةً من خلال انتمائهم إلى هيئات معتمدة. كما أنهم يعالجون المنحى الحديث الذي اتّخذته دراسات اللسانيّات الاجتماعيّة بحيث تعاونَ الباحثون في مجال اللسانيّات الاجتماعيّة مع المترجمين الممارسين في معرض تفكيرهم في العمل الذي يؤدّونه ونضالهم المستمر في سبيل اعتماد الخيارات المناسبة في السياقات المتعدّدة اللغات والثقافات.

ويتطرّق الفصل السابع المعنون "من منظور علم النفس المعرفي"، إلى تأثير علم النفس المعرفي على طُرق الترجمة الفوريةّ المتعددّة المُستخدمة حاليًا. وقد ارتبط عددٌ من المفاهيم المكرّسة في هذا المجال، كذاكرة العمل والذاكرة الطويلة الأمد، بكيفيّة فهم الآليّات المعرفيّة التي تقود عمليّة معالجة المعلومات.

ويستعرض المؤلفون في هذا الفصل تاريخ علم النفس المعرفي الشاهد على التلاقي بين نظريّة تشومسكي حول اللغة وأعمال ميلر حول الذاكرة القصيرة المدى والذكاء الاصطناعي.

ويعتبر المؤلفون أنّ انخراط المترجمين الفوريّين في عمليّة المعالجة اللغويّة والمعرفيّة يسمح لهم باعتماد استراتيجيّات قد تكون أكثر فعاليّة من التحضير التقليدي لأداء المهمة.

كما ينظر المؤلفون في مجالات علم النفس المعرفي الثلاثة المتصلة أكثر من غيرها بالترجمة الفوريّة أي الإدراك والانتباه وذاكرة العمل، ذاكرين "نموذج الجهد" لدانييل جيل الذي يتيح للمترجمين الفوريين فهم النظام الإدراكي بشكل أفضل، وبالتالي الحرص على الإعداد بطُرق تدعم الإدراك وتقلّل الجهد المعرفي في معالجة المعلومات.

وينهي المؤلفون هذا الفصل بتناول النموذج الذي قامتْ باربرا موسر ميرسر بتطويره والذي يصوّر الترجمة الفوريّة كمَهمة قائمة على معالجة اللغة بشكل أساسي.

ويختم المؤلّفون كتابهم بفصل ثامن بعنوان "تطبيق المنظورات" وكأنّ المقصود بالعنوان التوصّل إلى خلاصة الفصول السابقة التي تتناول الترجمة من منظور كل اختصاص على حدة. ويشير هذا الفصل إلى التطوّر التكنولوجي الذي يتيح للمترجم الفوري فرصة توفير خدمات الترجمة الفوريّة عبر الهاتف أو الإنترنت عبر تقنية المؤتمرات المصوّرة.

على صعيد آخر، يذكر المؤلفون المقاربات المنهجية الخاصة بمجالات متعددة من مثل دراسة استعمال اللغة والتواصل العابر للثقافات، ودراسات النوع الاجتماعي، والدراسات التي تُعنى بمراحل ما بعد الاستعمار، والتي استُخدمت في مجالات البحث المتعلقة بدراسات الترجمة.

في النهاية، وبعد استعراض أبرز ما جاء في هذا الكتاب، لا يسعنا إلّا أن نعترف بالقيمة المضافة التي يوّفرها لجهة تعريف الطلاب بمجموعة متنوعة من التخصّصات التي تفرض أُطراً ومنهجيّات نظريّة تتّصل بالدراسة الأكاديميّة للترجمة الفوريّة. ولا شك في أنّ لهذه الأطر علاقة وثيقة بفعل الترجمة الفورية على المستوى العملي أو أقلّه هي إضاءات على هذا الفعل. والعلاقة بين النظري والعملي في الترجمة حظيت بالعديد من الدراسات ولكن لا بد من الإقرار أنّها تسري بالاتجاهين. فالممارسة قد تكون بدورها الحافز على التفكير والتنظير. والترجمة وبخاصة الترجمة الفورية ليست عملًا تطبيقياً بالمعنى التقليدي، أي تطبيق نظريات معيّنة، ولا هي ممارسة تستند إلى الفطرة. لذا، فأن نوفّرَ للطلاب مخزونًا تنظيريًا عابرًا للتخصّصات أمر ضروري ولكنّه يبقى غير كافٍ إذا لم يقترن بتدريب على منهجيات البحث والتفكير في ميدان الترجمة الفورية.

ولعلّ هذا الكتاب، بمراجعه التي تنهل من القديم والحديث، وبمسعاه إلى شموليّة قد يعتبرها البعض مبالغًا بها، يشكّل نقطة انطلاق تفتح أبواب البحث والتعمّق أمام طلّاب الترجمة الفوريّة.